البرلشتاري

العدد 11

الجزء الأول

يونيو 2026

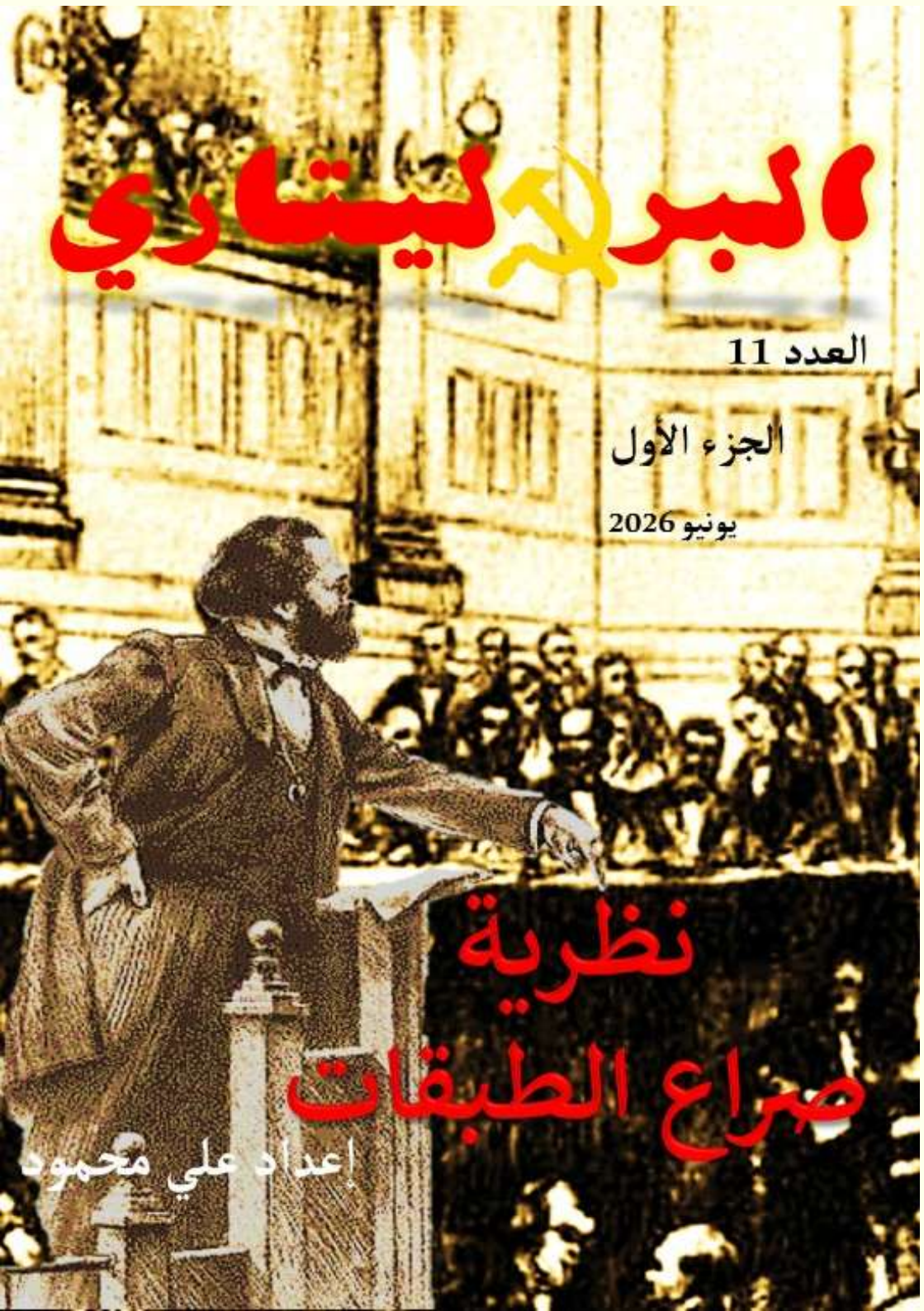

نظرية صراع الطبقات

إعداد علي محمود

نظرية صراع الطبقات

الجزء الأول

يحتل مفهوم صراع الطبقات موقعا مركزيا في النظرية الماركسية، وهو يصف تلك التوترات والنزاعات، التي تقوم بين مختلف الطبقات الفئات الاجتماعية في المجتمع الطبقي، وفي المجتمع الرأسمالي يتعلق الأمر بالصراع بين البروليتاريا والبورجوازية.

وتعتبر نظرية صراع الطبقات أن صراع الطبقات هو **محرك التاريخ**، وبالتالي **محرك التغيير الاجتماعي** المؤدي إلى بناء مجتمع جديد، مجتمع بلا طبقات: **المجتمع الشيوعي**.

وعموما، يتمظهر الصراع الطبقي، ويتأسس على قواعد أساسية:

1- صراع الطبقات والنزعة العدائية بين بعضها

في المجتمع الرأسمالي تمتلك البورجوازية وسائل الإنتاج (معامل، أراضي) بينما لا تمتلك الطبقة العاملة سوى قوة عملها، التي تضطر إلى بيعها من أجل البقاء على قيد الحياة.

2-الاستغلال الاقتصادي والطبقي

انطلاقا من امتلاكها لوسائل الإنتاج، تحاول البورجوازية باستمرار تحقيق الربح الأقصى عبر استغلال أقصى لعمل البروليتاريا (أجور متدنية، الزيادة في وقت العمل أو الزيادة في كثافة العمل).

3-مسالة الوعي الطبقي

تعي البروليتاريا بالتدريج عبر ممارستها اليومية الاستغلال الذي تتعرض له، الشيء الذي ينتج عنه حصول وعي بوجود **مصالح مشتركة** لدى مجموع العمال، الشيء الذي يتولد عنه النضال من أجل تحسين ظروف العمل، ومن أجل التحرر السياسي للطبقة العاملة.

4-مسألة التغيير الاجتماعي

تعتبر الماركسية أن الصراع الطبقي هو **محرك التاريخ**، وبالتالي، هو **محرك التغيير الاجتماعي**، ومن هنا، فإن صراع الطبقات لا يمكن أن ينتهي إلا بالقضاء على الطبقات الاجتماعية، الشيء الذي يؤدي إلى بناء **مجتمع شيوعي**، حيث تصبح وسائل الإنتاج **ملكية جماعية**، أي أنها توضع في يد المجتمع.

و في مواجهة النظريات البورجوازية حول الطبقات الاجتماعية، ينتصب النقد الماركسي لمجموع علم الاجتماع البورجوازي الخاص بالطبقات، و بحسب المنظور الماركسي القائل بأن صراع الطبقات هو محرك التاريخ، فهذه الأخيرة **تتشكل عبر علاقات الإنتاج في النظام الرأسمالي**، كما أن النظرية الماركسية تسلط الضوء على **عجز النظريات البورجوازية حول الطبقات على توضيح ديناميات السلطة والاستغلال المرتبطين بالنظام الرأسمالي**، و يرفض ماركس فكرة

أن الطبقات الاجتماعية مجرد **فئات تراتبية**، و على العكس، يعتبر أن الطبقات الاجتماعية تمثل **فاعلين تتعارض مصالحهم في صراع الطبقات**.

وعموما، يقوم النقد الماركسي للنظريات البورجوازية حول الطبقات الاجتماعية على الأفكار التالية:

1- اعتبار النظريات البورجوازية عن الطبقات تقوم على الجبرية الاقتصادية.

يتهم ماركس النظرية البورجوازية بكونها تقوم بالتركيز فقط على العوامل الاقتصادية مهملة **دور الأفكار والثقافة والإيديولوجيا في تشكل التراتبية الاجتماعية**.

2-الاختزالية الطبقية

إن المنظور البورجوازي يتجه باستمرار إلى **تبسيط العلاقات الاجتماعية**، وذلك عبر اختزال الطبقات الاجتماعية إلى **فئات مجردة**، وذلك في تجاهل كامل **لتعقيد** العلاقات الطبقية **وتنوعها**.

3-تجاهل صراع الطبقات

تتجاهل النظرية البورجوازية حول الطبقات مسألة صراع الطبقات باعتباره محرك التاريخ، وهي بذلك **تتجاهل مسألة تشكل الطبقات في خضم صراع الطبقات وليس خارجه**، فتفتقد بذلك إحدى الأسس العلمية لنظرية الطبقات الاجتماعية.

4-النظرية البورجوازية تشرعن النظام القائم

كل النظريات البورجوازية عن الطبقات، تساهم في **الحفاظ على وجود بنية السلطة القائمة وتبريرها، وتتجاهل بذلك ميكانيزمات الاستغلال والاضطهاد**.

5-غياب الوعي الطبقي

لا تستطيع النظريات البورجوازية عن الطبقات **استيعاب الوعي الطبقي** عند البروليتاريا، أي الإدراك الواعي من طرف العمال **لهويتهم الطبقية** ولمصالحهم المشتركة.

بشكل عام، تقوم النظرية الماركسية بتفكيك النظريات البورجوازية عن الطبقات بإبراز حقيقتها **كأدوات للسيطرة** تستعملها البورجوازية عندما لا تقدم صورة علمية عن العلاقات الاجتماعية وعن صراع الطبقات باعتباره محركا للتغيير الاجتماعي.

ومن جهة أخرى، تشكل الماركسية إطارا قويا لتحليل الديناميات الاجتماعية والاقتصادية، إنها تقدم رؤية واضحة عن الطريقة التي تتبنين بها المجتمعات وتتطور، وفي قلب هذه النظرية نجد ذلك الاهتمام **بالعلاقات الطبقية**، وبالنزاعات التي تتولد عنها.

ومن العناصر الأساسية للفكر الماركسي، تلك القناعة الراسخة بأن المجتمع يتشكل عن طريق الصراعات المستمرة بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وهذه الصراعات الطبقية هي محرك التاريخ، وقد اهتم ماركس في زمانه بمسألة اللامساواة وغياب العدالة في مجتمع رأسمالية القرن

19، وقد درس الميكانيزمات الاقتصادية والاجتماعية، التي تقف وراء هذه اللامساواة، علما أنه طور علما جديدا هو **علم المجتمعات والتشكيلات الاقتصادية والاجتماعية أي المادية التاريخية.**

و حسب المادية التاريخية فإن القوى الاقتصادية و البنيات الطبقية لمجتمع ما، هي التي تشكل أساس تطوره و تاريخه، و بقدر ما تتطور قوى الإنتاج، التي تخلق نزاعات طبقية مرتبطة بالصراع من أجل مراقبة الإنتاج و الموارد، بقدر ما يكون التغيير الاجتماعي مسألة ضرورية، إذن، نجد أن أحد المفاهيم الأساسية في النظرية الماركسية هو مفهوم صراع الطبقات، و حسب ماركس، فالمجتمع الرأسمالي منقسم إلى طبقات متعادية، خاصة البورجوازية و البروليتاريا، فالبورجوازية تمتلك وسائل الإنتاج و تستغل عمل البروليتاريا من أجل مراكمة الأرباح و الخيرات، و يشكل هذا الاستغلال جذر اللامساواة الاقتصادية و الاجتماعية.

إن الصراع بين هاتين الطبقتين سينتهي إلى ثورة بروليتارية تقضي على البورجوازية وتقوم ببناء مجتمع لا طبقي: المجتمع الشيوعي.

إن المادية التاريخية وصراع الطبقات هما الركائز الأساسية في الفكر الماركسي، ذلك أنهما يقدمان الإطار المفاهيمي لفهم كيف تتطور المجتمعات وتتغير باتجاه مجتمع آخر.

و تعطي الماركسية أهمية خاصة **للعلاقات بين الطبقات**، و هذه العلاقة توجد في قلب التحليل السوسيولوجي للمجتمعات في الماركسية، فالطبقات الاجتماعية هي مجموعات من الناس تتشارك في مميزات و خصائص اقتصادية، مثل الملكية و الدخل و وصولهم إلى الموارد، فالطبقات الاجتماعية ليست جامدة، بل تتطور بارتباط مع التحولات الاقتصادية و الاجتماعية، و في المجتمع الرأسمالي هناك طبقتان أساسيتان هما البورجوازية و البروليتاريا، فالبورجوازية هي طبقة رأسمالية تمتلك وسائل الإنتاج (المعامل، المقاولات و الأرض) أما دخلها فيتحقق عبر استغلال اليد العاملة للبروليتاريا، و تحقق، عن طريق فائض القيمة المنتزع، و عن طريق الربح، تراكم الغنى.

انطلاقا من امتلاكها لتلك الوسائل تلعب دورا أساسيا في الدولة الرأسمالية، ويتجسد ذلك على مستوى اتخاذ القرارات الاقتصادية والسياسية، التي تؤثر على توجه المجتمع، أما البروليتاريا فهي الطبقة العاملة، التي تبيع قوة عملها للبورجوازية مقابل أجر. إن العمال لا يتوفرون على ملكية ويعتمدون على عملهم من أجل العيش، وتقوم البورجوازية باستغلالهم، وعملهم ينتج فائض القيمة، حجر الزاوية في الاقتصاد الرأسمالي، وهو عمل غير مؤدى عنه تنتزعه البورجوازية من البروليتاريا.

I-الصراعات الطبقية والتغيير الاجتماعي عند ماركس

الإشكالية

بإمكاننا تجميع اسهامات ماركس في العلوم الاجتماعية، والمقصود علم الاجتماع، التاريخ، الاقتصاد والفلسفة، في **ثلاث مجموعات**:

في الأولى، يبين ماركس أن المجتمع مجموعة مبنينة تراتبيا.

في الثانية، يلاحظ أصل وتطور قسمة العمل، وكذلك النتائج الاقتصادية والاجتماعية.

في الثالثة، يبلور ماركس نظرية للطبقات والنزاعات الطبقية، التي يجعلها في قلب التغيير الاجتماعي.

هناك اسئلة كبيرة تطرح نفسها وهي:

-كيف تفصح النظرية الماركسية للطبقات الاجتماعية عن نفسها؟

- وكيف تقدم التغيير الاجتماعي؟

- وهل لا زالت النظرية الماركسية أداة فعالة لتحليل المجتمعات المعاصرة؟

1- السياق الاقتصادي والاجتماعي لعمل ماركس

لقد ارتبط فكر ماركس بسياق عام، **من أهم سماته**:

- التحولات الاقتصادية (تطور التمدين والهجرة القروية)، التي صاحبت الثورة الصناعية، وبسبب ذلك انقلب المشهد الاجتماعي مع ظهور فئة جديدة هي بروليتاريا المصانع، التي ظهرت منذ البداية في وضع مأساوي، بالإضافة إلى الاستغلال الفاحش للأطفال والنساء.

وقد تركت الليبرالية في ذلك الوقت الأجراء والمشغلين **وجها لوجه**، الشيء الذي ساهم في نشوء ظروف عمل رهيبة، وانفجار نزاعات عفوية وعنيفة يتم قمعها.

← في هذا السياق، بلور ماركس فكرا، جعل من النزاع (الصراع) **مركز التعبير الاجتماعي**، وذلك عبر التناقضات الداخلية للرأسمالية. لقد أعطى ماركس لصراع الطبقات دورا **مركزيا**.

2-النتائج الاقتصادية والاجتماعية للثورة الصناعية

لقد كانت الثورة الصناعية عبارة عن سيرورة للتصنيع، أي انتشار عام للطرق الصناعية في الإنتاج (المكننة، تجزئة العمل المرتبط بالتقسيم التقني للعمل بالإضافة إلى تزايد المصانع).

هكذا، تطورت تدريجيا الصناعة الرأسمالية الكبيرة، التي قلبت كل البنيات الاقتصادية، وقد كان للثورة الصناعية آثار اجتماعية، ومنها ظهور الطبقات الجديدة المرتبطة بالصناعة الرأسمالية الكبيرة، أي البورجوازية وبروليتاريا المصانع المتمركزة في العديد من المصانع. أضف إلى هذا، ظهور الملايين من الكادحين، اللذين كانوا ينتمون إلى الصناعة التقليدية المنهارة وإلى الفلاحين اللذين انتزعت منهم أراضيهم.

لقد كانت الطبقة العاملة الأولى **ذات أصول فلاحية** (أو قروية) أي لم يسبق لها أن عملت، و كانت شابة بشكل عام و غير مدجنة و من الصعوبة تثبيتها، و كانت ذات مستوى ثقافي ضعيف، و بالنسبة لمن سبق و أن عمل، فلديهم تجربة لنوع آخر من العمل غير منتظم، مرتبط بالإيقاع الطبيعي اليومي في البوادي، أي مرتبط بالفصول و بفترات الزراعة و الحصاد (العمل الموسمي) تتخلله فترات بدون نشاط (الفصل الميت)، و كان على الرأسماليين مهمة تكوينهم أو تربيتهم لتفرض عليهم ظروف العمل الخاصة بالإنتاج الصناعي الحديث، الذي يتميز بنوع من المميزات، مثل الاستمرار، الانتظامية و الانتباه في العمل و الانضباط لإيقاعات العمل و أوامره.

II- الطبقات الاجتماعية وصراع الطبقات عند ماركس

1- توضيح لبعض المفاهيم والمصطلحات:

البلترة: ظاهرة البلترة تعني تحويل العمال المستقلين (صناع وتجار صغار) إلى وضعية جديدة: وضعية العمال المأجورين (نزع وسائل عملهم)، هكذا، يصبح البروليتاريون مرتبطين بشخص آخر من أجل الحصول على تعويض عن عملهم، وتعني البروليتاريا وضعية أناس يستغلون من طرف المقاولات الرأسمالية.

القوى المنتجة: هي مجموع العناصر التي تضمن في لحظة ما تطور الأنشطة الإنتاجية (أدوات الإنتاج، قوة العمل، العلوم والتقنيات الجاري بها العمل: تنظيم العمل.

علاقات الإنتاج:

تعني مجموع العلاقات الاجتماعية، التي تقوم بين الناس في إطار النشاط الإنتاجي. عند ماركس فعلاقات الإنتاج توافق بشكل خاص علاقة الملكية بوسائل الإنتاج (المعامل، الآلات ...).

نمط الإنتاج:

تاريخيا، كل مجتمع يمكن أن يتميز، عند لحظة ما من تاريخه بنمط إنتاج محدد، والذي ليس إلا **تركيبا** للقوى المنتجة وعلاقات الإنتاج.

فائض القيمة:

إن ما يبيعه العامل للرأسمالي هو **قوة عمله**، الذي يحاول التعويض عنها بأجره من أجل إعادة إنتاج قوة العمل. إن العمل هو **بضاعة** كباقي البضائع **تتحدد قيمتها بالكمية الضرورية من الوقت لإنتاجها**، لكن قوة العمل لها ميزة تتميز بها، وهي **خلق المزيد من العمل بقدر أكبر من كمية العمل الضرورية من أجل إنتاجها، وفائض القيمة هو تلك القيمة الإضافية المنتجة من قبل الأجير، والتي يستحوذ عليها الرأسمالي مجانا وبشكل "قانوني"، فهناك عقد عمل** بين **العامل والرأسمالي**.

الاستغلال:

إنه **علاقة قوى غير متساوية تقوم من خلالها جماعة ما، وبدون مقابل مباشر بالاستحواذ على عمل جماعة أخرى**. هكذا، فقد كان السيد الإقطاعي يستغل **الأقنان**، لأنه لم يكن يبادل شيئا ماديا مقابل عمل **السخرة**.

أما عند ماركس، فإن ما يؤسس **لأصالة الاستغلال الرأسمالي فهو وجود عمل "قانوني"، لدى العامل الحق في قبوله أو رفضه، لكن الوضع البئيس و وجود البطالة في سوق العمل يجعل من هذه الحرية مجرد حرية شكلية، وعن طريق هذا العقد تقوم البورجوازية باستملاك فائض القيمة بالكامل، والذي خلقته البروليتاريا بجهدها الخاص**. إن البورجوازية تتملك قيمة عمل البروليتاريا بدون أجور جيدة بالمقابل، فهناك استغلال، هناك إذن علاقة انتزاع تقوم في وضع يكون فيه العامل ملزما ببيع قوة عمله للمقاول الرأسمالي مقابل أجر بقيمة أدنى مقارنة بالبضائع التي أنتجها.

إن **فائض العمل** هذا هو الذي يخلق فائض القيمة، التي يستحوذ عليها مالك وسائل الإنتاج. إن الاستعمال المكثف للآلات المرتبط بتقسيم العمل، سيسمح للمقاول الرأسمالي في زيادة عدد البضائع المنتجة، أي الزيادة في قيمة الإنتاج، وذلك في نفس الوقت الذي يزيد فيه من إنتاجية العمل، الشيء الذي يسمح **بالتخفيض** من ثمن البضائع الضرورية لإعادة إنتاج قوة العمل. هكذا، فزيادة الإنتاج، المرتبطة بتخفيض ثمن قوة العمل، سيسمح للرأسمالي بالزيادة في فائض القيمة ومن ثمة الزيادة في ربحه.

إن هدف الرأسمالي ليس هو إنتاج أكبر عدد من البضائع، بل هو الزيادة في ربحه عبر الزيادة في فائض القيمة.

الرأسمال:

بالمعنى الذي يحدده ماركس، ليس الرأسمال فقط هو مجموع المواد الضرورية للإنتاج، ولا حتى التدفق المالي، **إنه علاقة اجتماعية**، خاصة لمجتمع تقوم فيه طبقة اجتماعية، أي تلك التي تمتلك وسائل الإنتاج بانتزاع فائض القيمة من طبقة أخرى مناقضة، ففي نمط الإنتاج الرأسمالي يقوم المقاولون بانتزاع القيمة الإضافية التي قام العمال بإنتاجها، وذلك **بدون مقابل**.

2- مفهوم الطبقة الاجتماعية:

في التحليل الماركسي، تتحدد الطبقات الاجتماعية انطلاقا من المكان الذي تحتله في دائرة الإنتاج المادي، أي أن ماركس يرى في سير الاقتصاد أصل الطبقات الاجتماعية وصراعها، وقد وضع ماركس **ثلاثة معايير** في تحديده للطبقات:

1) تتحدد الطبقة الاجتماعية انطلاقا من **مكانها في علاقات الإنتاج**، أي أن الأعضاء المنتمين إلى نفس الطبقة الاجتماعية يتموقعون في **وضعية متماثلة داخل علاقات الإنتاج**، أي أنهم

يلعبون نفس نوع الأدوار داخل الإنتاج وتبادل الخيرات (أي أنهم يخلقون القيمة أو لا يخلقونها، وثانيا، يحظون بجزء محدد من توزيع الخيرات (الأجر بالنسبة للعمال وفائض القيمة والربح بالنسبة للرأسماليين).

إن هذا المعيار يسمح بتحديد طبقة في ذاتها.

2) تتحدد الطبقة الاجتماعية كذلك **بوعيها الطبقي**، أي أن عناصر الطبقة يجب أن يكون لديها **إحساس الانتماء إلى جماعة لها مصالحها المشتركة**. وانطلاقا من هذا الوعي الطبقي تتم معرفة **من هم القريبون منها، ومن هم ضدها ويجب الصراع ضدهم**. إن غياب هذا العنصر، أي الوعي يجعل طبقة **غير قادرة على أن تكون مسيطرة سياسيا**.

ويرى ماركس، أنه لا يكفي أن يكون العديد من الناس جنبا إلى جنب على نفس المستوى الاقتصادي حتى تكون الطبقة حقيقية، بل يجب قبل كل شيء، أن يكون هؤلاء الناس يجمعهم **رابط بسيكولوجي**، الذي هو **الوعي الطبقي**، وإلا سيكونون مجرد جمع بسيط لأشياء متشابهة، يقول ماركس:

"إن الجماهير الكبيرة من الأمة الفرنسية مشكلة من جمع بسيط من المقابر، نفس الاسم تقريبا ككيس بطاطس مشكل من البطاطس".

بالنسبة لماركس، يتعلق الأمر **بالفلاحين** المنكمشين في ضيعاتهم العائلية لا يطورون علاقات فيما بينهم، وليس لديهم انطباع بامتلاك مصالح مشتركة، بلغة ماركس، يشكلون **طبقة في ذاتها**، أي **طبقة محددة داخل علاقات الإنتاج، وليس طبقة لذاتها، أي ليس لديهم وعي بالدور الذي يمكن أن يلعبوه بتجمعهم**.

3) تقيم الطبقة الاجتماعية **علاقات نزاعية** مع طبقات أخرى، ففي نمط الإنتاج الرأسمالي، فإن البروليتاريين اللذين لا يملكون إلا قوة عملهم و البورجوازيين اللذين يملكون وسائل الإنتاج، فهؤلاء يدخلون في صراع، و هذا الصراع موجود لأن مصالحهم تختلف، إنهم يتصارعون حول الخيرات التي تم خلقها، إن البروليتاريين وحدهم خالقو الثروة، ذلك أن العمل هو أحد منابع القيمة، فالأرباح التي يحققها البورجوازيون تأتي من خصم لجزء كبير من القيمة التي تم خلقها عن طريق العمل، **وما الأجر إلا غطاء عن هذه العملية، لأنه يتم تقديمه كتعويض عن العمل وليس عن قوة العمل**.

وحسب ماركس، فإن الرأسمالية تؤدي إلى تمقطب مزدوج اجتماعيا: البورجوازيون في مواجهة البروليتاريين، بينما الطبقات الاجتماعية الأخرى يحكم عليها نمط الإنتاج الرأسمالي بالانقراض، ويدخل أعضاؤها في سيرورة البلترة، وجزء منها يستطيع، وهو قليل، أن يغتني ويلتحق بالبورجوازية.

3- ماركس والطبقة في ذاتها والطبقة لذاتها

- الطبقة في ذاتها:

في مواجهة الاستغلال وتدهور ظروف العمل يتقدم وعي العمال من أجل الدفاع عن الأجور والمطالب الاقتصادية، وفي هذا السياق يحصل وعي داخل المعمل ومواقع الإنتاج، ويحصل **ائتلاف** بين العمال من أجل القضاء على المنافسة بينهم، وتشكيل مقاومة خاصة في مواجهة المقاولين الرأسماليين، وهذا هو الشرط للحديث عن ولادة طبقة في ذاتها (الشرط الموضوعي).

- الطبقة لذاتها:

إن الصراعات الطبقية في نمط الإنتاج الرأسمالي تصبح **سياسية** عندما تدرك الطبقة العاملة **الوعي** بضرورة القضاء على الاستغلال عن طريق **أخذ السلطة السياسية**، وهنا يدخل الصراع مرحلة "**صراع طبقة ضد طبقة**"، ويقول ماركس أن "**صراع طبقة ضد طبقة هو صراع سياسي**"، وبذلك **تتحول** الطبقة من طبقة في ذاتها إلى طبقة لذاتها.

خلاصة القول، أن صراع البروليتاريا يبدأ أولا عن طريق نضال اقتصادي في المقاولة، ويجب أن يتابع بنضال سياسي من أجل أن تكتسب الاعتراف به، ومن أجل أن يتم تغيير الأمور. إن الرأسماليين في بحثهم المستمر وبشكل أكبر دائما، فإنهم لا يتوقفون عن مركزة وسائل الإنتاج بشكل أكثر، وذلك لحد أنهم، عن طريق التناقضات الداخلية للرأسمالية يصبحون حفاري قبورهم. إن البورجوازية محكوم عليها بالاختفاء، وأنها تحكم على عبدها البروليتاري، الذي بدونه لا يمكن أن توجد.

4- المراحل المؤدية إلى تشكل طبقة اجتماعية حسب ماركس

يرى ماركس أن الصناعة الكبيرة تجمع في مكان محدد جماعة من الناس لا يعرفون بعضهم بعضا، بينما المنافسة تقسمهم (**"بؤس الفلسفة" 1847**).

وهنا يجب التمييز بين الجماهير التي تجمع أفرادا بدون علاقات فيما بينهم وبدون رد فعل ضد، أو في وجه وضعهم المشترك، وبين الطبقة التي تتشكل خلال عدة مراحل:

ا- بداية، فإن الرأسماليين في إطار أنشطتهم يمركزون العمال في المصانع، وهؤلاء الأخرين سيتعرضون للاستغلال، الذي هدفه إنتاج فائض القيمة وزيادته، وهكذا سيدركون بالتدريج أن لهم شيء مشترك، يتمثل في الظروف السيئة للعمل وللحياة، الشيء الذي سيدفعهم إلى الوحدة من أجل التحرك، وبعد ذلك يأتي وقت ائتلافهم.

ب- إن الائتلاف والنضال النقابي سيحد من المنافسة بين العمال، وسيوحدهم في وحدة نضالية مقاومة، ثم أن هذا النضال المحلي سيؤدي إلى تنظيم حسب المهن، ثم اتحادات وطنية ودولية، الشيء الذي يؤدي إلى تعبئة جماعية حقيقية، هدفها تحسين وضع العمال عن طريق قوانين وقواعد، فالنقابات تنظم النضال، وتقوم بالإضرابات وتفاوض ... وتدريجيا، تصل

البروليتاريا إلى وعي بأنها تشكل طبقة لها مصالح خاصة يجب الدفاع عنها في وجه البورجوازية، وتتحول البروليتاريا تدريجيا إلى طبقة لذاتها.

ج- وتأخذ الجمعية بعد ذلك **طابعا سياسيا**، أي الوعي بأنه إذا أخذت السلطة فبإمكانها وضع حد للاستغلال الرأسمالي، وتغيير المجتمع. إن صراع طبقة ضد طبقة هو صراع سياسي.

بالنسبة لماركس، لكي تكون هناك طبقة حقيقية لابد أن تتجمع مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية المشتركة: **نمط الحياة، المصالح، ثقافة مشتركة ووعي طبقي**. وعند ماركس، فإن سيرورة الإنتاج الرأسمالي تخلق في الواقع موقفين، موقف المستغل (كسر الغين) وموقف المستغل (فتح الغين)، والمستغلون (كسر الغين) هم مالكو وسائل الإنتاج والمستغلون (فتح الغين) هم البروليتاريون.

خلاصة القول، فإن نمط الإنتاج الرأسمالي هو الذي يحدد مواقف الطبقات الاجتماعية. وتقدم الماركسية مجموعة من المفاهيم العلمية تشكل مفاتيح لتحليل المجتمعات، مفاهيم مثل التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية ونمط الإنتاج والقوى المنتجة وعلاقات الإنتاج.

5- لينين وتحديد الطبقات:

يقول لينين في "**المبادرة الكبرى**":

"إن خطأ الأممية الصفراء ل بيرن، هو أن قادتها لا يعترفون إلا قولا بصراع الطبقات، وبالدور القيادي للبروليتاريا، ويخافون السير بالفكرة حتى نهايتها، والوصول إلى هذه الخلاصة التي لا مناص منها، الرهيبة خاصة، وغير المقبولة قطعا بالنسبة للبورجوازية. إنهم يخافون من القبول بأن دكتاتورية البروليتاريا هي فترة من صراع الطبقات لا مناص منها ما دامت الطبقات لم يتم القضاء عليها، التي تغير الشكل وتصبح حادة بشكل خاص، ومتميزة بشكل خاص غداة قلب النظام الرأسمالي، فبعد أن تستولي على السلطة السياسية، فإن البروليتاريا لا تتوقف عن الصراع الطبقي، وتستمر في ذلك إلى حدود القضاء على الطبقات. وبطبيعة الحال، يتم ذلك في ظروف أخرى، وفي شكل آخر وبوسائل أخرى".

تعريف لينين للطبقات:

"نسمي طبقات مجموعات واسعة من الناس، يتميزون بالمكان الذي يحتلونه في نظام إنتاج اجتماعي محدد تاريخيا، عن طريق علاقتهم (تكون في أغلب الأحيان محددة بالقوانين ومكرسة بها) تجاه وسائل الإنتاج، وعن طريق دورهم في التنظيم الاجتماعي للعمل، وبالتالي، عبر طرق الحصول وأهمية الجزء من الثروات التي يتوفرون عليها. إن الطبقات هي جماعات من الناس، تستطيع إحداها امتلاك عمل الأخرى، نتيجة المكان المختلف الذي تحتله في بنية محددة، أي في الاقتصاد الاجتماعي. إنه لمن الواضح أنه، من أجل القضاء نهائيا على الطبقات، لا يجب فقط قلب المستغلين (بكسر الغين) و الملاكين العقاريين الرأسماليين،

ليس فقط القضاء على ملكيتهم، بل يجب كذلك القضاء على كل ملكية خاصة لوسائل الإنتاج، و في نفس الوقت مسح الفرق بين المدينة و البادية، و الفرق بين العمل اليدوي و العمل الفكري، إنه عمل طويل الأمد، من أجل القيام به لابد من خطوة كبيرة إلى الأمام في تطوير القوى المنتجة، يجب هزم مقاومة (غالبا سلبية و عنيدة، و خاصة، صعبة القضاء عليها) بقايا الإنتاج الصغير، و يجب كذلك هزم القوة الهائلة للعادة و للروتين المرتبطين بهذه البقايا" .

إن الفقرات أعلاه تعد من أبلغ ما كتب عن الطبقات في الماركسية، ولذلك تجد خصوم الماركسية يتناسونها ويتغافلون عنها في انتقاداتهم للماركسية. ويقول لينين في مزيد من تعريف صراع الطبقات قولته الشهيرة:

" وحده يسمى ماركسيا، ذلك الذي يوسع اعترافه بصراع الطبقات إلى حد الاعتراف بدكتاتورية البروليتاريا".

وبطبيعة الحال، فلينين مطلع على أقوال ماركس التي جاءت في سياق كتابه الشهير "البيان الشيوعي" الذي جاء فيه:

"إن تاريخ كل المجتمعات إلى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ صراع الطبقات".

وكذلك، **رسالة ماركس إلى جوزيف ويدماير**، فقد كتب ماركس في **5مارس1852**، (الرسالة التي أخفاها التحريفيون لمدة طويلة وقللوا من أهميتها):

ومما جاء فيها:

"والآن، فيما يتعلق بي، فليس إلي يرجع الفضل في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع الحديث، ولا الصراع الذي تخوضه فيما بينها، فهناك مؤرخون بورجوازيون قاموا بذلك قبلي، للتطور التاريخي لهذا الصراع الطبقي، وهناك اقتصاديون بورجوازيون قاموا بتشريح ذلك اقتصاديا.

إن ما قدمته من جديد هو:

1-تبيان أن وجود الطبقات مرتبط فقط بفترات تاريخية محددة لتطور الإنتاج.

2-أن صراع الطبقات يؤدي بالضرورة إلى دكتاتورية البروليتاريا

3-أن هذه الدكتاتورية نفسها لا تمثل سوى انتقال نحو القضاء على كل الطبقات، ونحو مجتمع بدون طبقات.

III- صراع الطبقات كمحرك للتغيير الاجتماعي وللتاريخ

يقول ماركس، بل ويؤكد مبدء أساسيا:

"**إن الناس بإنتاجهم ينتجون المجتمع**" وهذه الاطروحة مرتبطة أساسا بالديالكتيك والمادية التاريخية، ذلك أنه بالنسبة لماركس، فكل واقع تحركه قوى متناقضة، وصراع هذه القوى يولد

التغيير بشكل عام على شكل **قطيعة عنيفة** تتبع تطورا وتعزيزا للقوى الضعيفة المشاركة في هذا الصراع. فكل مجتمع يحمل في طياته تعارضات وقوى متناقضة، لكن عند ماركس فالأهم من هذه التناحرات الاجتماعية هو **صراع الطبقات**، فعند كل شكل من المجتمع يظهر شكل جديد من الصراع. فنمط الإنتاج سيحدد العلاقات الاجتماعية، التي تقوم بين الأفراد، ومن هنا **انبثاق التعارضات**، فالنزاع بين الطبقات، الذي يجد أصله في طبيعة اشتغال المجتمع، سيشكل المحرك الرئيسي للتغيرات الاجتماعية الكبرى.

1- القوى المنتجة، العلاقات الاجتماعية للإنتاج، نمط الإنتاج: مفاتيح تحليل المجتمعات

عندما تجتمع لدينا هذه العناصر المتمثلة في علاقات الإنتاج، قوى الإنتاج ونمط الإنتاج، تتوفر لدينا كل العناصر الضرورية من أجل القيام بتحليل ماركسي للمجتمعات، فتحليل المجتمع ينطلق من اللعبة المركبة للعناصر التي تكونها، لكونها تتميز بالملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ونظام الأجور، فالرأسمالية سمحت أولا بنمو اقتصادي هام قبل أن تعرف أزمات صناعية، ووراء ذلك أصل هذه الصعوبات يتمثل في علاقات الإنتاج، التي أصبحت تعرقل تطور القوى المنتجة، أي تطور الإنتاج، **والحل هو تغيير نمط الإنتاج**.

وفي التحليل الماركسي، فعلى الرأسمالية أن تختفي وتترك المكان لمرحلة انتقالية، التي هي **دكتاتورية البروليتاريا**، التي ستنتهي إلى الشيوعية، ذلك **المجتمع اللا طبقي**. إن كل نمط إنتاج يولد تناقضاته الخاصة، والرأسمالية لا تخرج عن هذه القاعدة، إنها تؤدي إلى تفقير البروليتاريين وتعميق صراع الطبقات، وهي تولد كذلك أزمات **فائض الإنتاج**، و**الاتجاه نحو انخفاض معدل الربح**.

2- التراكم الفائض للرأسمال، تفقير الطبقة العاملة والأزمات الاقتصادية

إن **البحث عن الربح** يشكل المحرك الرئيسي للرأسمالية، ومن ثمة يظهر كشرط أساسي لوجودها، في نفس الوقت يشكل حدودا لها. إن الأنشطة لا يتم تطويرها إلا إذا كانت مربحة، وترتبط المردودية بمعدل الربح، أي فائض القيمة في علاقته بالرساميل المستثمرة x (مضروبة في) 100. وهذا ما يشكل **البارومتر** الرئيسي للنشاط الرأسمالي.

إن نمط الإنتاج الرأسمالي، شكل قبل كل شيء مصدرا هاما للنمو الاقتصادي، لكن البحث عن الربح والمنافسة بين المنتجين الرأسماليين، تقوده إلى الاستثمار، أي استثمار فائض التراكم للرأسمال. هكذا، و من أجل الزيادة بدون توقف في فائض القيمة، فإن المقاول الرأسمالي يراكم الرأسمال، و عن طريق تحديث أدوات الإنتاج فهذا يسمح له بالزيادة في الإنتاج، أي الزيادة في الخيرات التي ينتجها العامل (الربح في الإنتاجية)، و هنا يقوم الرأسمالي بالزيادة في التكوين العضوي للرأسمال (التكوين العضوي للرأسمال= ث/ م (ث هي الرأسمال الثابت و م هي الرأسمال المتحرك))، و بمعنى آخر يستعمل الرأسمالي أكثر فأكثر من الرأسمال (عمل ميت) و

أقل فأقل من العمل (العمل الحي)، من أجل تحقيق الإنتاج، و الحال أن هذا النوع من العمل (العمل الحي) هو الذي يخلق الثروات و القيمة المضافة، و بالتالي فهو مصدر للربح. هناك إذن تناقض جوهري لدى الرأسمال، الذي لا يمكن توظيفه إلا بواسطة قوة العمل التي يقدمها العمال. يقول ماركس:

"إن الرأسمال هو عمل ميت، يشبه الفامبير ولا تدب فيه الحياة إلا بامتصاصه المزيد من العمل الحي، وتكون حياته على أحسن ما يرام بقدر ما يمتص الكثير (كتاب "الرأسمال").

إنه لمن البديهي أن النظام الرأسمالي لا يستطيع توليد خيرات جديدة، ويجد الرأسمال معدل ربحه ينخفض، عندما يعوض الرأسمالي عمل العمال بالرأسمال (العمل الميت) فإنه في نفس الوقت يحد من إمكانية تشغيل العمال، ومن جهة أخرى فإن ما يربحه في الإنتاجية يسمح له بتخفيض ثمن البضائع المنتجة، الشيء الذي يساهم في تخفيض ثمن مواد العيش، مما يدفع أجر العمال نحو الأدنى. هكذا يصبح بقاء البروليتاريا مشكلة، ومن أجل البقاء تقوم منافسة بين العمال، مما يساهم في تخفيض أجرهم ومستوى عيشهم، وهنا يتضخم ما يسميه ماركس "**الجيش الصناعي الاحتياطي**"، أي هؤلاء العمال اللذين تم طردهم من الإنتاج فسقطوا في البطالة والبؤس. وإن هذا التفقير المتزايد للساكنة المأجورة ينقص من إمكانية تدفق البضائع، التي لا تجد من يشتريها، ويصبح النظام مهددا بكامله **بأزمات فائض الإنتاج**.

إن التفقير الدائم للعمال يولد التوترات الاجتماعية، التي تزيد منها الأزمات الاقتصادية، التي تظهر تناقضا كبيرا في نمط الإنتاج الرأسمالي: يتم البحث عن الربح بدون الاهتمام بحاجيات الناس، وكضحية لمنطقه الخاص، والعجز أكثر فأكثر عن تدبير تناقضاته، فإن النظام الرأسمالي محكوم عليه تاريخيا، ويسير نحو أزمة نهايته المحتومة، وهذا التطور لا يتم في خط مستقيم، بل عبر جدلية مركبة وعميقة.

علي محمود